

(4)

عايدة الجوهري. دروس شهرزاد. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2019 ص. 253

احتلت حكايات ألف ليلة وليلة في تداخل قصصها الخرافية والشخصية المحورية فيها شهرزاد، مكانة واسعة في الثقافة الشعبية العربية بما عكسته من قيم وثقافة وأفكار سائدة في المجتمعات العربية تتمحور حول سيطرة المجتمع الأبوي والثقافة الذكورية والمواقف منها القابلة للتأويل وإعادة التأويل والإسقاط والتفسير والتخيّل، والتي تحض القارئ على إعادة النظر بأفكاره واستنتاجاته وفرضياته.

من هنا يعيد هذا الكتاب رسم صورة شهرزاد وتفاعلها مع الملك شهريار بما يظهر خصالها ومواصفاتها في سعيها لانتزاع مغفرة الملك بشتى الوسائل والبقاء على قيد الحياة، وبما يساعد على تفكيك فرضية مفادها أن شهرزاد ابنة وزير الملك استقدمت الحكايات من خزانة أبيها لتعيد سردها بتوجيه من حراس الخزانة - على الأرجح - لتهديئة خواطر الملك المجروح من خيانة زوجته وتخفيف آلامه ومؤانسته حتى يدهمه النعاس قبل أن يقرر التخلص منها. ولم يكن ذلك ممكناً لو لم تخرج شهرزاد عن جندرها وتسترسل في رسم شخوص أنثوية ناقصات فضيلة، واتزاناً، وحكمة، والتزاماً ووفاء.

وإن يُعاب على شهرزاد انخراطها في فرضية الترويج لنقصان المرأة هذا بدلاً من الذود عنها، إرضاءً للرجل وتسلطه والحفاظ على ذكوريته، يقدم هذا الكتاب قراءة مغايرة للصورة النمطية عن شهرزاد كشخصية رمزية تختصر صورة المرأة العربية الضعيفة والخاضعة لإرادة الرجل في المجتمعات العربية والشرقية. ويبرز من خلال قراءة سوسيولوجية جندرية لشخصية شهرزاد قدرة المرأة العربية، إن أرادت، على مواجهة مظالم المجتمع الأبوي والثقافة الذكورية عليها، وذلك لما لها من معرفة وقوة على التأثير في الحدث. كما يوضح أن التمييز بين النساء والرجال لا يستند إلى فوارق طبيعية ثابتة، بل هو مسألة ثقافية ترتبط بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والتربوية السائدة في أي مجتمع.

يبقى أن الدور الذي اضطلعت به شهرزاد والذي جعلها تنجح في مهمة بدت مستعصية ومحفوفة بخطر الموت، يعد انتصاراً لصورة المرأة واعترافاً بقدراتها العقلية والنفسية والأخلاقية. وهذا الانتصار ترجمة لقانون اجتماعي مفاده أن منسوب الاعتراف بالمرأة يزداد طردياً مع اعترافها بذاتها، ومع تزايد مهاراتها وقدراتها وإنجازاتها، إضافة إلى ارتفاع منسوب ثقافة الرجل وتحضره.